

قراءة في كتاب " الاستعارات التي نحيا بها

" لجورج لايكوف ومارك جونسن

د. عزالدين عماري، جامعة المسيلة

ملخص:

احتلت الاستعارة مكانا بارزا في الدراسات البلاغية والأدبية قديما ولا تزال كذلك حديثا، ذلك أن ما قيل حول حقيقتها، وما قيل في أنواعها، وفي الغرض منها في الكلام، لا يكاد يحصى. ورغم ما حققه الفكر الأرسطي من إنجازات باعتباره واضع الأسس الجينية الأولى للتفكير البلاغي، إلا أن ثمة ضرورة ملحة تدعو لتجاوز النظرية الأرسطية للاستعارة، والتي تقوم على فكرة التجزيء، وذلك باقتراح نظريات جديدة مغايرة من حيث المنطلقات والأهداف، وهذا تحديا ما تبنته النظرية التفاعلية للاستعارة، والتي تنطلق أساسا في فهم هذه الأخيرة من طريقة التفكير وفهم العالم. ولعل الباحثين الأمريكيين "جورج لايكوف" و"مارك جونسن" هما من أبرز من جسد هذه النزعة التجريبية التفاعلية بجلاء وذلك في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها".

وتبعاً لذلك سيسلط هذا البحث الضوء على هذا الموضوع لاكتشاف ما استجد في موضوع دراسة الاستعارة، والحديث عن تطوراتها وتطبيقاتها في السنوات الأخيرة، وذلك من خلال الكتاب السالف الذكر، وهذا من شأنه أن يعين على مواكبة مثل هذا النوع من الأبحاث والاستفادة منها في الوقت الراهن.

اللسانيات المعرفية أو علم اللغة المعرفي تيار لساني تطور في الثمانينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا العلم يعد من العلوم اللغوية الحديثة نسبيا، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام، وقد نشأ هذا التيار في دراسة اللغة كمقابل لللسانيات التوليدية التحويلية التي وضعها تشومسكي. حضى هذا التيار اللساني المعرفي بانتشار دولي واسع واكتمته حركة لسانية معرفية ضخمة، وقد اكتسبت اللسانيات المعرفية شرعيتها مع إنشاء الرابطة الدولية لللسانيات المعرفية. إن ما تذهب إليه اللسانيات المعرفية هو عدم القول باستقلالية النظام اللغوي، بمعنى عدم الأخذ بما يذهب إليه تشومسكي من أن تطور اللغة عند الطفل يأتي كليا من نموذج نحوي مستقل في الدماغ يبني بالكامل بتعليمات خاصة به؛ وإنما ترى بأنه لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام. إن

اللغة من منظور اللسانيات المعرفية لا تنفصل عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة. والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي يتأثر - بلا شك - بكيفية إدراكها، فاللغة ليست مستقلة أو مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة¹.

إن ما يميز أصحاب هذا التيار عن أصحاب النظرة التقليدية في الدراسات اللغوية الغربية المنبثقة من الفلسفة الأرسطية هو أن أصحاب هذه النظرة التقليدية يهتمون بالخيال، ولا يضعون له دوراً أساسياً في عمليات التفكير و الإدراك. فالدراسات التقليدية في اللغة والفلسفة وعلم النفس - وهي ما يطلق عليها مصطلح " Objectivism " - ترى أنّ هناك بنية موضوعية للحقيقة وللعالَم الخارجي مستقلة عن معتقدات البشر، وأنه لا بد لكي نصف هذه البنية من أن نستعمل التفكير الموضوعي المنطقي الذي ليس للخيال فيه أثر². لقد تجذر في الفكر الإنساني بعض المسلمات التي وجهت الدرس التقليدي، والتي تتمثل في أنه " طرح الكثير من العوامل التي لا تتصف بالموضوعية ولا العلمية مثل الخيال والعاطفة وغيرها، فظهر عندنا بعض الثنائيات من مثل : العقل والجسد، التفكير والخيال، العلم والفن، الإدراك والعاطفة، يتصف العنصر الأول منها بالموضوعية التي تحرص عليها الدراسات التقليدية، ويتصف الثاني منها بالذاتية التي تسعى هذه الدراسات للتخلص منها واجتنابها قدر المستطاع، ولكن الكثير ممن يعملون في حقل علم اللغة المعرفي يرون بأنه يجب أن نتجاوز هذه الثنائيات لكي نغني البحث اللغوي والنفسي والعلمي بشكل عام؛ فالخيال يعد قدرة إنسانية مهمة ذات أثر فاعل وعميق في تشكيل الفهم البشري وفي بناء المعرفة الإنسانية ؛ فهو يمثل آلية أساسية من الآليات التي يلجأ إليها العقل البشري لفهم الأشياء من حوله، ولنقل هذا الفهم إلى الآخرين³. إن من بين النظريات التي أسست للسانيات المعرفية، ما يسمى بنسقية التصورات، أو النسق التصوري، وهذا الأخير يمثل كل ما هو متاح للإنسان من تصورات، وكل تصور من هذه التصورات يمكن أن يكون مجسداً عبر اللغة.

يرى لايكوف وجونسون أن هناك نوعين من التصورات، تصورات مباشرة وأخرى غير مباشرة، والأخيرة منبثقة عن الأولى، والتصورات المباشرة هي أول ما نرشحه من التصورات، على غرار التصورات البسيطة التي تنبثق من تجربتنا الفضائية المستمرة، مثل: فوق، تحت، أمام...، وهذه ما يميزها أنها مستمرة لاشتغالنا عليها يوميا، كما أنها تتسم بالدقة باعتبار تماسكها المباشر مع العالم الفيزيائي بما فيه جسدنا، وأما غير المباشرة فهي التجارب غير المحددة بشكل واضح، كالتجارب العاطفية، و التي لا يمكن تحديدها بدقة إلا إذا تعالقت مع التجارب الحسية الحركية، وهذا ما يدفع إلى اللجوء إلى الاستعارة لفهم مثل هذه التصورات⁴. و الاستعارة بهذا المفهوم الجديد هي ظاهرة ذهنية قبل أن تكون لغوية، فهي تمثل إحدى الآليات المركزية لاشتغال الذهن عند الكائن البشري، وفي ما يلي إعادة للنظر في طبيعة هذه الاستعارة و دورها المعرفي وتجلياتها في حياتنا اليومية، وذلك من خلال كتاب " الاستعارات التي نحيا بها " لجورج لايكوف ومارك جونسون.

- **الاستعارة و أنواعها من خلال كتاب " الاستعارات التي نحيا بها "**: الاستعارة بهذا التصور ليست مجرد أسلوب في اللغة، بل هي تركيب بنيوي في جهاز التصور والتفكير لدى الإنسان إذ إنه مفطور على أن يفكر بشكل استعاري وأن تتحكم في أفكاره وسلوكه تلك الاستعارات التي تملأ فكره ولغته عن العالم من حوله، يقول لايكوف وجونسون: "إن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنها ليست مقتصره على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، إن النسق التصوري العادي الذي يُسَيَّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس"⁵، ولتوضيح ذلك قدم الباحثان استعارة " الجدل حرب "، وعن هذا التصور الاستعاري تتراكم في لغتنا اليومية بنيات استعارية؛ مثل:

الجدال حرب:

- لا يمكن أن تدافع عن ادعاءاتك.

- لقد هاجم كل نقط القوة في استدلالتي.

- أصابت انتقاداته الهدف.

- لقد هدمت حجته.

-لم أنتصر عليه يوماً في جدال.

-إذا اتخذت هذه الاستراتيجية ستباد.

-إنه يسقط جميع براهيني⁶. إن جزءاً كبيراً من الأشياء التي نقوم بها كما تبين التعابير السابقة (نهاجم موقفاً، نريح أو نخسر المواقع، نضع استراتيجيات...) حين الجدال بينينها تصور الحرب، "وإذا كنا لا نجد معركة مادية (حقيقية) فإننا نجد معركة كلامية، وبنية الجدال (الهجوم، الدفاع، الهجوم المضاد... الخ) تعكس ذلك. بهذا المعنى تكون استعارة الجدال حرب من بين الاستعارات الموجودة في ثقافتنا والتي نحيا بها: إنها تبين الأنشطة التي نجزها عندما نتجادل"⁷.

ولتأكيد هذا الطرح، يذهب الباحثان إلى افتراض وجود ثقافة لا ينظر فيها إلى الجدال بعبارات الحرب، ولا وجود فيها للتصورات السابقة من هجوم أو دفاع أو ربح أو خسارة، يقولان: " لنتخيل ثقافة ينظر فيها إلى الجدال باعتباره رقصة، والمتجادلان ممثلان هدفهما إنجاز الرقصة ببراعة وأناقة. ففي ثقافة كهذه سينظر الناس إلى الجدالات بشكل مخالف، وستختلف تجربة الجدال لديهم،... وسيبدو لنا- بدون شك- غريباً أن نسمي ذلك جدالاً، وربما كانت الطريقة المحايدة التي نصف بها هذا الاختلاف الحاصل بين ثقافتهم وثقافتنا أن نقول: نشاطنا الجدالي تبينه ألفاظ المعركة وأن نشاطهم الجدالي تبينه ألفاظ الرقص"⁸. وأهم ما نقوم به الاستعارة " الجدال حرب"، هو إتاحة فهم جزئي لنوع من التجارب من خلال نوع آخر، وهذا لا يعني أن الجدال يعد فرعاً من الحرب، " فالجدالات والحروب نوعان من الأشياء مختلفان (الخطاب الكلامي والصراع المسلح)، والأنشطة المنجزة (في كليهما) تختلف، فالجدال في جزء منه مبين ومفهوم ومنجز ومعلق عليه انطلاقاً من الحرب، (فإن نقول) إن التصور مبين استعارياً بمعنى ذلك أن الأنشطة واللغة مبنيان استعارياً"⁹ إن ما يقصده الباحثان من القول بأن النسق التصوري البشري مبين ومحدد استعارياً، هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ بل إن سيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها، ومن أجل تحديد البنية الاستعارية المتحركة في هذا النسق قسم الباحثان الاستعارات إلى أنطولوجية، بنيوية واتجاهية.

01- الاستعارات الاتجاهية: تشكل التعلقات العنصر الأساس في تصوراتنا الاتجاهية، كما أن أغلب هذه الاستعارات الاتجاهية ترتبط بالاتجاه الفضائي، فوق، تحت، خارج، داخل، أمام، وراء... وتتبع هذه الاتجاهات الفضائية من وضعية الجسد البشري وكيفية اشتغاله في المحيط الفيزيائي، غير أن هذه التعلقات مع التجربة الفيزيائية غير كافية وحدها، بل لا بد من العامل الثقافي الذي يحدد نوع التعلق المختار حيث " تقدم التجربة الثقافية والفيزيائية العديد من الأسس الممكنة لاستعارات التقضية، ولهذا السبب يمكن أن يختلف اختيارها وأهميتها نسبيا من ثقافة إلى أخرى¹⁰. هذا النوع من الاستعارات يعطي توجها فضائيا لنسقنا التصوري، والجدول التالي يمثل بعض التصورات الاستعارية الاتجاهية المنبثقة عن التصور المباشر " فوق، تحت " مع ما يقابله من أمثلة لغوية تعكسها، وهي مأخوذة عن لايفوكوف وجونسن¹¹:

أمثلة لغوية	المرتكزات الفيزيائية للتصور	استعارات اتجاهية
- إنني في قمة السعادة. - سقطت معنوياتي.	ترتبط وضعية السقوط بالشقاء والانهيار، وترتبط وضعية الانتصاب بحالة عاطفية إيجابية.	السعادة فوق والشقاء تحت
- انهض من نومك. - سقط في غيبوبة عميقة.	ينام الإنسان وأغلب الثدييات الأخرى في وضعية تمدد، ويقوم حين يكون مستيقظا.	الوعي فوق واللاوعي تحت
- إنه في قمة العافية وأوجها. - صحته في تدهور مستمر. - سقط ميتا.	يجبرنا المرض الخطير على التمدد الفيزيائي، وحين نموت نكون فيزيائيا في وضع تحتي.	الصحة والحياة فوق، والمرض والموت تحت
- ارتفعت عائداتي في السنة الفارطة. - لقد نزلت أرباحه هذه السنة.	إذا أضفنا أشياء معينة إلى مجموعة أشياء أخرى، أو صببنا سائلا إضافيا في إناء، فإن علو مجموعة الأشياء يزيد، ومستوى السائل يرتفع.	الأكثر فوق والأقل تحت

ومما سجله الباحثان في موضوع الاستعارة الاتجاهية ما يلي:

- تعتبر الاستعارات الاتجاهية غالبا الموجه الأساسي في بلورة تصوراتنا الأساسية.

- الاستعارات الاتجاهية ليست اعتباطية بل هي متجذرة في تجربتنا الثقافية والفيزيائية، كما أنه لا يمكن فهم تصور معين إلا بمقتضى أساس هذه الاستعارة في التجربة، مع الإشارة إلى أن هذا الأساس قد يختلف من ثقافة إلى أخرى.

- لكل استعارة فضائية نسقية داخلية، فاستعارة السعادة فوق تحدد نسقا منسجما من الاستعارات وليس مجموعة من الحالات المعزولة، وما يؤكد ذلك أنه لو قال أحدنا: " إنني في القمة " بمعنى : " أنا سعيد"، أو قال: " ارتفعت معنوياتي " يقصد " أنا حزين " فإن النسق سيفقد اتساقه .

- إن هناك نسقية خارجية تشمل مختلف استعارات التفضية، وهذه تحكم الانسجام الحاصل بين هذه الاستعارات، و هكذا فإن استعارة " الجيد فوق " توجهنا نحو الأعلى داخل فكرة " الرفاه والسعادة "، فالسعادة فوق، والصحة فوق، والحياة فوق، والنفوذ فوق،...

- قد تختلف الأسس الفيزيائية والاجتماعية للاستعارة، ويبدو أن انسجام النسق الشامل هو الأصل- جزئيا على الأقل- ، وهكذا فإن السعادة ترتبط جزئيا و فيزيائيا بابتسامة عريضة، وهذه الوضعية تعتبر مبدئيا أساس استعارة مثل " السعادة واسعة والحزن ضيق"¹².

02- الاستعارات الأنطولوجية: الاستعارات الاتجاهية لا تكفي وحدها لفهم جميع التصورات، ومنه فإن الباحثين يقترحان نوعا آخر يسمى بالاستعارات الأنطولوجية، وذلك بالنظر إلى أنها تنتج عن تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية (وبخاصة أجسادنا)، وعلى العموم " تسمح لنا الاستعارات الأنطولوجية برؤية بنية مرسومة بوضوح أكبر، حيث توجد بنية مرسومة بوضوح أقل، أو غير واضحة البنية"¹³، و يمكن أن نميز في ذلك، ما يلي:

أ- **استعارات الكيان و المادة:** استعارات الكيان والمادة تقدم طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار، وغيرها باعتبارها كيانات ومواد¹⁴.

إن استعارات الكيان والمادة، حاضرة دائما في فكرنا لدرجة أننا نتخذها بديهيات كما نعتبرها أوصافا مباشرة للظواهر الذهنية، في حين أنها تمثل نسقا مهمينا على آليات اشتغال لغتنا وتسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير

بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة البشرية، وما يمثل به الباحثان في ذلك، تجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعتبر، استعاريا، كيانا نسميه التضخم، وبهذا نحصل على طريقة للإحالة على هذه التجربة:

" التضخم كيان:

- إن التضخم يخفض مستوى عيشنا.
- إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش.
- يجب محاربة التضخم.
- يضطرنا التضخم إلى اتخاذ بعض الإجراءات.
- يلتهم التضخم جزءا كبيرا من عائداتنا.
- شراء قطعة أرض هو الطريقة الوحيدة للاحتماء من التضخم.
- يقلقني التضخم كثيرا¹⁵. إن اعتبار التضخم كيانا يسمح لنا بالإحالة عليه وبتكميمه، وبأن نعين منه جزءا خاصا، وبأن نرى فيه سببا وبأن نتصرف بحيلة إزاءه، وربما بأن نعتقد أننا نفهمه. إن هذه الاستعارات الأنطولوجية ضرورية في محاولتنا تقديم تحليل عقلائي لتجاربنا وتستعمل لحاجات مختلفة، والاختلافات الحاصلة بين هذه الأنواع من الاستعارات تعكس هذه الحاجات المختلفة التي استعملت هذه الاستعارات من أجلها. والجدول التالي يبين فكرة تنوع حاجاتنا وتنوع المعطيات التمثيلية التي تخدم هذا النوع من الاستعارات¹⁶:

أمثلة لغوية	أنواع فرعية	الاستعارات الأنطولوجية
إننا نعمل من أجل السلام	أن نحيل	استعارات الكيان والمادة
يتطلب إنهاء هذا الكتاب قدرا كبيرا من الصبر	أن نكمم	
لقد تدهور الجانب النفسي في صحته.	أن نعين المظاهر (الجوانب)	
ثقل المسؤولية سبب انهياره.	أن نعين الأسباب	
إنني أغير نمط حياتي كي أعثر على السعادة الحقيقية.	أن نحدد الأهداف ونحفز الأنشطة	

02- استعارات الوعاء: إن الاستعارات التصويرية من هذا المنظور تعكس بشكل جلي ذلك التفاعل القائم بين وجودنا الفيزيائي في العالم، ونظرتنا لما يحيط بنا ويفعل فينا سواء تعلق الأمر بكيانات فيزيائية (الأقاليم الأرضية، مجال الرؤية) أو بأنشطة (السباق مثلا) تتضمن أعمالا وأحداثا أخرى. تتبع هذه الاستعارات من الخاصية الفيزيائية التي تمتلكها أجسادنا باعتبارنا كائنات فيزيائية محدودة ومعزولة عن باقي العالم عن طريق مساحة جلدنا ونعيش تجربة باقي العالم باعتبارها خارجة عنا، وبذلك يكون التوجه (خارج - داخل) مرتبطا بتصورنا لأجسادنا كأوعية ذات مساحة محدودة. هذا التوجه نفسه نسقطه على أشياء فيزيائية أخرى محدودة بمساحات فنعتبرها أوعية لها داخل وخارج. ومن أمثلة الأشياء الفيزيائية التي نسقط عليها هذا التصور الغرف والمنازل فالنتقل من غرفة لأخرى تنقل من وعاء لآخر ، كما أننا نسقط هذا التوجه على أشياء صلبة إننا نكسر صخرة لنعرف ما بداخلها بل إن هذا الإسقاط يشمل أيضا محيطنا الطبيعي فنعتبر الفجوة داخل الغابة مساحة ذات حدود ونعتبر أنفسنا داخل الفجوة أو خارجها ، داخل الغابة أو خارجها¹⁷. إن استعارات الوعاء لا تثير انتباهنا بالنظر إلى أنها تبدو عادية ومألوفة جدا بالنسبة لنا، والأمثلة في الجدول تبين كيف نتصور الأنشطة أوعية تحوي أعمالا وأنشطة أخرى تدخل فيها، وذلك كما يلي¹⁸:

الاستعارات الأنطولوجية	أنواع فرعية	أمثلة لغوية
استعارة الوعاء	الأقاليم الأرضية	دخلنا فجوة في الغابة
	مجال الرؤية	دخلت السفينة مجال رؤيتي الآن
	الأحداث والأنشطة والأعمال والحالات	هل ستكون في السباق/ لقد اكتسبت تجربة كبيرة في التدريس/ لقد صرفت طاقة كبيرة في العمل

03- التشخيص: يعتبر التشخيص مقولة عامة تغطي عددا كبيرا من الاستعارات، وهذه الأخيرة تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر المختلفة عن طريق ما هو بشري، و يجب أن نعتمد على محفزاتنا ، وأهدافنا، و أنشطتنا وخصائصنا حتى نفهم هذه الاستعارات، وبمفهوم آخر فإن " استعارات التشخيص التصويرية، تتضمن فهم كيانات

غير بشرية، أو أشياء من خلال الكائن البشري، وبالتالي تنسب خصائص بشرية للأشياء¹⁹. ولقد مثل الباحثان لتوضيح ذلك بتشخيص التضخم، كما يلي:

- هاجم التضخم أسس اقتصادنا.
 - طرحنا التضخم على الأرض.
 - إن ألد أعدائنا، حالياً، هو التضخم.
 - لقد هد التضخم الدولار.
 - ذهب التضخم بكل ما وفرناه.
 - خدع التضخم أحسن الخبراء في البلد.
 - أنجب التضخم جبلا من الانتهازيين. من الأمثلة السابقة يتبين أنه " بالنظر إلى شيء مجرد مثل التضخم عن طريق ما هو بشري له سلطة تفسيرية تشكل - بالنسبة لغالبينا- الوسيلة الوحيدة لإعطائه معنى، إننا حين نتعرض إلى خسارات مالية مادية لأسباب اقتصادية وسياسية معقدة لا نفهمها حقا، فإن استعارة التضخم عدو تسمح لنا على الأقل بإعطاء تفسير متسق لسبب ابتلائنا بهذه الخسارات²⁰
- الاستعارات البنيوية:** إن هذا النوع من الاستعارات يكمن في بنية أنساق تصويرية لها حدود تتسم بوضوح أقل استنادا إلى أنساق تصويرية لها حدود تتسم بوضوح أكثر²¹، أو أنها استعارات " تستخدم في بنية النسق التصوري لإدراك مجالات جديدة من خلال مجالات مبنية مسبقا"²². إن الاستعارات البنيوية شأنها شأن الاستعارات الأنطولوجية والاتجاهية تتأسس على ترابطات نسقية داخل تجربتنا، فاستعارة الجدل العقلي حرب، تسمح بإقامة تصور لما هو الجدل العقلي بالاستعانة بشيء نفهمه بطريقة أسهل، وهو الصراع الفيزيائي (الحرب). ففي مملكة الحيوانات التي تسعى إلى الحصول على ما تحتاجه من فرائس وملكية أو سلطة... الخ، تتعارك مع حيوانات أخرى ترغب في الأشياء نفسها، ينطبق الأمر نفسه على البشر، فكل ما تقوم به الحيوانات في عراكها من ممارسات: التحدي قصد تخويف العدو وغزو مساحته، والدفاع عن الموقع والهجوم و الهجوم المضاد والانسحاب أو الاستسلام، والمعركة البشرية تتضمن كل هذا. إلا أن كوننا " حيوانات عاقلة " جعل صراعاتنا ومعاركنا، ومنها الحرب، مؤسساتية بطرق متعددة. إلا أنه وإن كنا قد جعلنا المعارك مؤسسية

على مر العصور فإن البنية الأساس للمعركة تظل في العمق ثابتة لا تتغير، إلا أن الجانب الإيجابي في كوننا حيوانات عاقلة يحصل بقدرتنا على نيل ما نريده دون اللجوء إلى صراع مادي حقيقي، ولهذا ابتكرنا مؤسسة الجدل الكلامي الاجتماعية²³.
 قد يتحول الجدل إلى عنف فيزيائي، أو قد تكون المعركة الكلامية بنفس صيغة المعركة الفيزيائية، ولتوضيح طبيعة هذه العلاقة قدم الباحثان مثالا عن خصام بين زوجين: إذ يسعى كل من الزوج والزوجة إلى تحقيق غاياتهما، وذلك عن طريق حمل الآخر على تبني رأي معين بصدد إحدى المشاكل أو حمله على التصرف آخذا بعين الاعتبار ذلك الرأي على الأقل ، فكلاهما يتصور أن هناك شيئا سيبرحه أو سيخسره. وأن هناك مساحة يغزوها ومساحة يدافع عنها، ففي الجدل مهاجم، ندافع ،نستسلم، و نهرب باستعمال كل الوسائل الكلامية المتاحة: التحدي ، التهديد ، الشتم ، التسلط ، المساومة ، الإطراء، وكذلك محاولة تقديم " حجج عقلية ". إلا أن هذه الوسائل التكتيكية في الغالب قد تقدم باعتبارها أسبابا، ومن الأمثلة على ذلك:

- لأنني أقوى منك. (تحذ)
- لأنك إن لم تفعل فسأضطر إلى كذا وكذا. (تهديد)
- لأنني أنا الرئيس (تسلط)
- لأنك غبي (شتم)
- لأنك تتصرف عادة بشكل سيء (استخفاف)
- لأنني مثلك تماما، لي الحق في ذلك (تحدي التسلط)
- لأنني أحبك (تهرب)
- لأنك إذا فعلت كذا، فإنني سوف ... (مساومة)
- لأنك الرجل المناسب للقيام بذلك (إطراء). تبين الأمثلة السابقة أن الجدلالات المستعملة لهذا النوع من الوسائل التكتيكية هي الأكثر شيوعا في ثقافتنا، ونظرا لارتباطها الوثيق بحياتنا اليومية، فإننا لا نكاد ننتبه إليها. إلا أن هذه الوسائل التكتيكية السابقة (التحدي، المساومة، التسلط، الاستخفاف، التهديد) تعتبر غير عقلية خاصة في الأوساط الأكاديمية والقانونية والديبلوماسية والدينية والصحفية، حيث يتم انتهاج صيغة أسمى في الجدل العقلي وحيث الوسائل التكتيكية المسموح بها هي:

-إقامة مقدمات منطقية.

-سرد براهين تؤكد هذه المقدمات.

-رسم استنتاجات منطقية. غير أنه حتى في أكثر الحالات المثالية التي تتوافر فيها هذه الشروط فإن الجدل العقلي يدرك وينفذ بواسطة الحرب، فهناك دائما مساحة نغزوها وأخرى ندافع عنها ، ويمكن أن نريح أو نخسر. يطرح الباحثان الكثير من الأمثلة المتعلقة باستعارة " الجدل الحرب"، والتي يبينان من خلالها كيف أن هذه الوسائل التكتيكية تحضر حتى في التراكيب المهذبة، فسواء كنا في مقام أكاديمي ، أو في جلسة محكمة، حيث نصبو إلى تحقيق الصبغة المثالية للجدل العقلي ، أو كنا في مقام نحاول أن نبدي سلطتنا فنتكلم بخشونة ، فإننا ندرك جدالاتنا ونتصورها وننجزها وتحدث عنها بالاعتماد على استعارة " الجدل الحرب"²⁴.

يقدم الباحثان بعد ذلك نوعين آخرين من هذه الاستعارة، وهما: " العمل مورد " و" الزمن مورد "، وبعد الإفاضة في الشرح وتقديم الأمثلة، يتوصلان إلى أن هذه الاستعارات الثلاث تملك أساسا ثقافيا قويا، وأنها " قد انبثقت بشكل طبيعي داخل هذه الثقافة التي هي ثقافتنا لأن ما تضيئه يطابق بدقة ما نعانيه (أي ما نجره) جماعيا، ونجره جماعيا ، ولأن ما تخفيه لا يطابق سوى القليل من تجاربنا. إلا أن هذه الاستعارات لا تكفي بأن يكون لها أساس داخل تجربتنا الفيزيائية والثقافية، إنها تؤثر أيضا في تجربتنا نفسها وفي سلوكياتنا"²⁵.

الهوامش:

1 - ينظر: لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة 'جامعة الملك

سعود، م17، سنة2004، ص: 05.

2- ينظر المقدمة من : Mark Johnson , The Body in the Mind , (Chicago, The University of Chicago Press1990) نقلا عن : لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف

اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو

العربي، ص: 06.

3- ينظر: لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، ص:07،06.

- 4- ينظر: عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف: بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012، ص: 46.
- 5- جورج لاکوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، ط1 ، الدار البيضاء : دار توبقال للنشر، 1996م، ص 21 .
- 6- المصدر نفسه، ص: 22.
- 7- المصدر نفسه، نفس الصفحة.
- 8- المصدر نفسه، ص: 22، 23.
- 9- المصدر نفسه، ص: 23.
- 10- المصدر نفسه، ص: 38.
- 11- ينظر: عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، ص: 47.
- 12- ينظر: جورج لاکوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 37، 38.
- 13- عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، ص: 112.
- 14- ينظر: جورج لاکوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 45.
- 15- المصدر نفسه، ص: 46.
- 16- ينظر: عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، ص: 111.
- 17- ينظر: جورج لاکوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 49.
- 18- ينظر: عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، ص: 111.
- 19- المرجع السابق، ص: 111.
- 20- جورج لاکوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 54.
- 21- ينظر: المصدر نفسه، ص: 121.
- 22- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص: 44.
- 23- ينظر: المصدر نفسه، ص: 81.
- 24- ينظر: المصدر نفسه، ص: 82، 83.
- 25- ينظر: المصدر نفسه، ص: 86.